مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ١١:١٩–٣٠)

في تلك الأيام لمَّا تبدَّد الرسلُ من أجل الضيق الذي حصلَ بسببِ استِفانُس اجتازوا إلى فينيقيةَ وقُبرسَ وأنطاكيةَ وهم لا يكلِّمونَ أحداً بالكلمةِ إلاَّ اليهودَ فقط* ولكنَّ قوماً منهم كانوا قُبرُسيين وقيْروانيين. فهؤلاء لمَّا دخلوا أنطاكيةَ أخذوا يُكلِّمونَ اليونانيينَ مُبشِّرينَ بالربِّ يسوع* وكانت يدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورَجعوا إلى الرب* فبلغَ خبرُ ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية* فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ اللهِ فرحَ ووعظهم كلَّهم بأن يثبُتوا في الرب بعزيمةِ القلب* لأنَّه كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروحِ القدسِ والإيمان. وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ* ثم خرج برنابا إلى طرسوسَ في طلبِ شاول. ولمَّا وجده أتى به إلى أنطاكية* وتردَّدا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلَّما جمعاً كثيراً ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في أنطاكية أولاً* وفي تلك الأيام انحدر من أورشليم أنبياءُ إلى أنطاكية* فقامَ واحدٌ منهم اسمه أغابُوس

الإلفة بين المؤمنين

في مقطع سفر أعمال الرسل لهذا اليوم (أع ١١:١٩–٣٠) إشارات عديدة إلى وفرة انضمام الجموع إلى الإيمان بالمسيح يسوع بُعيد استشهاد القديس استفانوس، وفي عز حملة الملاحقة والاضطهاد للمسيحيين التي قادها اليهود آنذاك. هذا من حيث العدد. بيد أن خاتمة المقطع المتلو علينا اليوم تحكي شيئًا من مفاعيل هذا الإيمان على المنضمين الجدد إذ تقول: «فحتم التلاميذ بحسب ما يتيسر لكل واحد منهم أن يرسلوا خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية...»، إشارة إلى مجاعة مقبلة كان قد تنبّأ بها أحد الملهمين من الروح. أحداث هذا المقطع تتمّ في أنطاكية. وإذا عدنا في السفر إلى الوراء، نقرأ أن «جميع الذين آمنوا كانوا معًا، وكان عندهم كل شيء مشتركًا... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة» (٢: ٤٤–٤٦)، وأنه «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول إن شيئًا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركًا» (٤:٣٢). في السفر عينه أمثلة أخرى كثيرة عن هذه «الإلفة». أما سر هذه الإلفة فهو في عبارتَي «في الهيكل بنفس واحدة» و«جمهور الذين آمنوا». المقصود هنا هو أن هذا الاتحاد بين المؤمنين، وإن كان معاشًا في تفاصيل الحياة اليومية، ليس اتحادًا أو تراصفًا مجتمعيًا وحسب، بل جوهره اتحاد في الله رابطه الإيمان والدم الإلهي الواحد الذي فهم المؤمنون آنذاك أنه بات يجري في عروقهم.

العدد ٢٠١١/٢١

الأحد ٢٢ أيار

أحد السامرية

تذكار القديس باسيليكس الشهيد

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

ما يحمله إلينا النص المقدس هو، إذا جاز التعبير، «درس تطبيقي» حول جوهر إيماننا. المؤمنون الأوائل أيقنوا أن الغاية الأسمى لهم هي ملكوت الله، وأنهم معًا، بقوة الدم الإلهي الذي يوحّدهم، يسعون إلى الملكوت السماوي. «لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه» يقول السيد الرب (متى ٦: ٣٣). ولما استلهموا الروح القدس عن الطريق إلى ملكوت الله وجدوه في اثنتين: أن يحب الإنسان الله من كل كيانه، وأن يحب قريبه ــ ومفهوم القريب في الإنجيل واسع الشمول ـ تمامًا كنفسه أي أن يصبح وإياه واحدًا (لو ١٠ ٢٢–٢٨). أبناء أنطاكية حرّكهم هذا الحب عينه، فجمعوا ما تيسّر لهم ليرسلوه إلى

فأنبأ بالروح أن ستكون مجاعةٌ عظيمةٌ على جميع المسكونة. وقد وقع ذلك في أيام كلوديوس قيصر* فحتم التلاميذ بحسَبِ ما يتيسَّرُ لكلٍّ واحدٍ منهم أن يُرسِلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكِنين في أورشليم* ففعلوا ذلك وبعثوا إلى الشيوخ على أيدي برنابا وشاول.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥-٤٢)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ من السامِرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضَيْعَةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِه* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العين وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامِرَةِ لِتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَبَ* فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيف تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومن الذي قال لكِ أعْطيني لأشرَب لَطَلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقة. فمِن أين لك الماء الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظَمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ

إخوتهم في اليهودية. وهم طبعًا لا يعرفونهم.

لقد فهم المؤمنون، على مدى العصور، أنهم مولودون من معمودية واحدة، مغسولون بدم إلهي واحد، ويحييهم الحمل الذبيح الأوحد. فالصلة التي يترابط بها أبناء الكنيسة إذًا هي أوثق بما لا يقاس من أية صلة أخرى، عائلية كانت أو قومية أو فكرية. إذا كان أبناء العائلة الواحدة أو الفكر الواحد يتراصّون، ماذا تكون إذًا حال الذين تجمعهم تلك الصلة التي لا تتزعزع؟ نقول أكثر من هذا. فطالما أن المسيحية هي مصباح «النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان» (يو ١:٩) يجد المسيحي نفسه، متى اتّقد بالإيمان، مشدودًا إلى الإنسان كإنسان، فقط لأنه غاية فداء الرب وخلاصه. من يحب الله يحب الذين أحبهم الله، والمحبة في المفهوم الإلهي التزام حتى منتهى البذل. لعل هذا ما حدا بالقديس الرسول بولس إلى التشديد، في عدة مواضع، على أن من أخطأ إلى أخ فإلى المسيح نفسه قد أخطأ.

تعليم القديس بولس مطبوع بتحسس الآخر بل واعتناقه. «من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر ولا ألتهب أنا»، يقول القديس (٢كور ١١:٢٩). مسيحيو سفر الأعمال كان كل شيء بينهم مشتركًا، وهذه الـ «كل شيء» تشمل المقتنيات المادية ولا تقف عندها. هؤلاء الذين كانوا المثال التطبيقي الأول لرسالة المسيح تشاركوا في خيرات الدنيا، ولكنهم أيضًا كانوا أمام الله «بنفس واحدة» وهنا الأهم. ذلك أن التصدق بالمال ليس بالضرورة وليد المحبة، لكن الإيمان بفاعلية الدم الإلهي الذي يوحد المؤمنين، هو الذي يولّد حتمًا المحبة. للإيضاح نقول مثلاً إن من كان غير ميسور ولا قدرة له على التصدق، إن كان مؤمنًا، لا يعتبر نفسه في حلٍّ من الآخر. زيارة مريض أو محزون أو مسجون لا تتطلّب مصروفًا ماديًا بل محبة مسيحية وجهدًا روحيًا. المسيحي يعتنق الآخر، يتماهى معه أيًا كان هذا الآخر، يتألم لألمه ويلتهب متى رآه متعثرًا. التضامن في المفهوم المسيحي ليس حركة دائرية مغلقة بين أبناء الكنيسة وحسب، بل اندفاع طبيعي يحرّكهم باتجاه الآخر في كل حين. إنه حالة مستمدة من شمولية فداء المسيح.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن الكنيسة، في احتياجاتها اليومية، لطالما قامت على تقدمات المؤمنين الصغيرة المقدّمة بحبّ، التي غالبًا ما أبركت أكثر من تقدمات كبيرة قُدمت بلا حب. وعادة «لم الصينية» في الكنيسة هي استمرار رمزي لهذه الـ «كان بينهم كل شيء مشتركًا». كذلك عادة تقديم القرابين للـ «ذكرانيات». فالمؤمن يقدّم بحسب عاداتنا خمس قربانات، يأخذ منها واحدة والأربع الباقيات توزّع، فيكون الكل قد أكل من خبز الكل. وفي القديم، أي في الكنيسة الأولى، مَنْ كان فقيرًا ولا يستطيع تقديم القرابين، كان يذهب إلى نبع الماء ويجلب الماء إلى الهيكل لكي يوضع الماء مع الخمر في الكأس المقدسة. ومن هذا المفهوم عينه، لعلنا لا نغالي إذا قلنا إن إتيان المؤمن بالقربانات أجمل وأبرك من تقديم ثمنها. «جميع الذين آمنوا كانوا معًا»، يقول النص المقدس.

وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطَش أيضاً. وأمَّا مَن يشربُ من الماءِ الذي أنا أُعطيهِ له فلن يعطَشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت لهُ المرأةُ يا سيِّدُ أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالتْ إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولِكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لك خمسةُ رِجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت له المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنَّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآب* أنتم تسجُدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنَّما يطلُبُ الساجدين له مثلَ هؤلاء* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مَسيَّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخبِرُنا بكلِّ شيء* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معَك

قيامة الأجساد

«إن لم يخلِّص المسيح الجسد بالقيامة فذلك يعني انه لم يخلص الإنسان أبداً. فهل رأى أحد إنساناً بدون جسد...» (القديس إيريناوس أسقف ليون، ق. ٢).

ذكرنا سابقاً انه لحظة أسلم الرب يسوع الروح وهو على الصليب، «القبورُ تفتَّحت وقام كثيرٌ من أجسادِ القديسينَ الراقدينَ»، (متى ٢٧: ٥٢)، وقلنا أيضاً إن هذا كان تذوقاً مسبقاً لما ستكون عليه الحال في اليوم الأخير عندما سيأتي الرب في مجده، في مجيئه الثاني، حيث سيقوم جميع الأموات بالجسد ويحضرون أمام الرب مع الأحياء الباقين لتتم الدينونة.

إذاً، إيماننا بالقيامة، وتحديداً القيامة بالجسد في اليوم الأخير، هو إيمان راسخ ويستند إلى ما يرد في الكتاب المقدَّس بعهديه القديم والجديد.

+ **العهد القديم**:

يكتب صاحب المزامير: «لذلك فرِحَ قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مُطمئِناً، لأنَّك لن تترُك نفسي في الهاويةِ ولن تدعَ تقيَّك يرى فساداً. تُعرِّفُني سبيلَ الحياةِ أمامكَ شِبَعُ سرور، في يمينِك نِعَمٌ إلى الأبدِ» (١٦: ٩–١١). هذه الكلمات استعملها أيضاً الرسول بطرس في الحديث عن قيامة الرب (أعمال ٢: ٢٦–٢٨). والنبي أشعياء يكتب: «في ذلك اليوم... تحيا أمواتُك، تقومُ الجثث، استيقِظوا ترنموا يا سكّانَ التراب» (٢٦: ١٩).

أما الصورة الأقوى لحال القيامة في اليوم الأخير فتبقى الصورة التي كتبها النبي حزقيال (٣٧: ١–١٤) التي تنبأ فيها عن قيامة الأجساد وهزيمة مملكة الموت. وهذه هي القراءة التي سمعناها في خدمة جناز المسيح يوم الجمعة العظيم في معرض تأكيد الكنيسة على ان القيامة للجميع سوف تنبعث من قبر المسيح. في هذه الرؤيا – النبوءة يقول حزقيال ان «يد الرب» أخرجته إلى أحد السهول وكان مليئاً بالعظام البشرية اليابسة. فسأله الرب: «أتحيا هذه العظام. فقلت يا سيِّدُ الربُّ أنت تعلمُ. فقال لي تنبَّأ على هذه العظامِ وقُل لها... هأنذا أُدخِلُ فيكم روحاً فتحيون، وأضعُ عليكم عَصَباً وأكسِيكم لحماً وأبسُط عليكم جِلداً وأجعلُ فيكم روحاً فتحيونَ وتعلمونَ أنّي أنا الربُّ». تنبَّأ حزقيال بما أمره الرب فإذا به يرى أمام عينيه النبوءة تتحقق.

+ **العهد الجديد**:

في إنجيل يوحنا في المقطع الإنجيلي (٥: ٢٥–٢٩) الذي نقرأه في خدمة الدفن، نسمع الرب يسوع يقول لنا: «لا تتعجبوا من هذا. فإنه تأتي ساعةٌ فيها يسمعُ جميعُ الذينَ في القبورِ صوتَه. فيخرجُ الذينَ فعلوا الصالحاتِ إلى قيامةِ الحياةِ والذينَ عمِلوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونة». والرسول بولس يقول لأهل تسالونيكي، في الرسالة التي نقرأها في خدمة الدفن أيضاً (١ تسا ٤: ١٣–١٧) انه «إن كُنَّا نؤمِنُ أنَّ يسوعَ ماتَ وقامَ فكذلك الراقدون بيسوعَ سيُحضِرُهم اللهُ أيضاً معه». لا بل ان «الأموات في المسيح سيقومون أولاً».

أما في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس فيؤكِّد الرسول بولس بصورة جازمة انه «كيف يقول قومٌ بينكم أن ليس قيامةُ أمواتٍ. فإن لم تكن قيامةُ أمواتٍ فلا يكون المسيحُ قد قام. وإن لم يكن المسيحُ قد قام فباطِلةٌ كِرازتُنا وباطِلٌ أيضاً

هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأة. ولكِنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها* فتركتِ المرأةُ جرَّتَها ومضتْ إلى المدينةِ وقالتْ للناس* تعالَوا انظُروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي أثناءِ ذلك سألهُ تلاميذُه قائلينَ يا معلِّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذُ فيما بينَهم ألعلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أن أعمَلَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتمِّمَ عملَهُ* ألستُم تقولون أنتم إنَّه يكونُ أربعةُ أشهر ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصِدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرح الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إني أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعبوا أنتم فيه. فإنَّ آخرينَ تعِبوا وأنتم دخَلتم على تعبِهم* فآمَنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجل كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ أن يُقيم عندهم. فمكثَ هناك يَوْمَيْن* فآمنَ جمعٌ أكثرُ من أولئِكَ جدًّا من أجل كلامِهِ* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامِكِ نؤمنُ الآنَ. لأنَّا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلّصُ العالم.

إيمانُكم. ونُوجَدُ نحن أيضاً شهودَ زورٍ للهِ لأنَّنا شهدنا من جهةِ اللهِ أنَّه أقامَ المسيحَ وهو لم يُقِمهُ إن كان الموتى لا يقومون» (١٥: ١٢–١٥). إذاً، الدليل على قيامة المسيح هو ان الموتى سيقومون. قيامة الموتى كما قلنا في العدد السابق هي الدليل على غلبة الرب. لذلك يقول الرسول بولس انه عندما نقوم من الأموات ونلبس عدم الفساد وعدم الموت «حينئذٍ تصيرُ الكلمةُ المكتوبةُ ابتُلِعَ الموتُ إلى غلبة. أينَ شوكتُكَ يا موتُ، أين غلَبَتُكِ يا هاوية... ولكن شكراً للهِ الذي يُعطينا الغلبةَ بربِّنا يسوعَ» (١٥: ٥٤–٥٧).

أما الذين يسألون عن طبيعة الأجساد عند القيامة فالجواب يعطيه الرسول بولس: «يُزرَعُ في فسادٍ ويُقامُ في عدمِ فسادٍ، يُزرَعُ في هوانٍ ويُقامُ في مجدٍ. يُزرعُ في ضَعفٍ ويُقامُ في قوَّةٍ. يُزرعُ جسماً حيوانيًّا ويُقامُ جسماً روحانيًّا» (١ كور ١٥: ٤٢–٤٤). كيف هو هذا الجسم الروحاني؟ انه على صورة جسد الرب يسوع عندما قام من بين الأموات: «الإنسانُ الأوَّلُ من الأرضِ تُرابيٌّ. الإنسانُ الثاني الربُّ من السماءِ. كما هو الترابيُّ هكذا الترابيُّون أيضاً. وكما هو السماويُّ هكذا السماويون أيضاً. وكما لبِسنا صورةَ الترابيِّ سنلبَسُ أيضاً صورةَ السماويِّ» (١ كور ١٥: ٤٧–٤٩).

أما الذين يسألون كيف سيقيم الله الموتى من القبور ومنهم مَن تحلّل، ومنهم مَن اختلطت عظامهم مع عظام أخرى، فنجيبهم مع القديس أثيناغوراس، أحد الآباء المدافعين عن الإيمان في القرن الثاني، ان الله الذي خلق من العدم كل شيء والإنسان، قادر أن يجمع الجميع من جهات الأرض الأربعة ويقيمها. هذا القديس كتب رسالة دفاعية حول قيامة الموتى رداً على المشككين بقيامة الموتى وبقدرة الله على إقامة الموتى. ففي زمنه كان الوثنيون يحاربون المسيحيين لإيمانهم بالقيامة. وكان الولاة يرمون المسيحيين في البحر ليأكلهم السمك، وعندها يهزأون بالمسيحيين إذ كيف سيقيمهم إلههم. جواب اثيناغوراس كان إيمانياً بسيطاً. فالله الذي خلق من العدم قادر أن يفعل أي شيء. ونحن مع القديس أثيناغوراس نردِّد بصوت عالٍ كل يوم ما يرد في دستور الإيمان: «أؤمن بإله واحد... وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي آمين».

قديس جديد

في الأول من أيار ترأس غبطة بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية دانيال القداس الإلهي في دير لاينيسي حيث تمّ إعلان قداسة البار هيروذيون (١٨٢١–١٩٠٠) الرئيس السابق للدير المذكور، وذلك بمشاركة ٢٢ أسقفاً من أعضاء المجمع الأرثوذكسي الروماني المقدس وحضور أكثر من عشرة آلاف مؤمن. وقد تمّ أيضًا تدشين كنيسة جديدة في الدير على اسم والدة الإله سيّدة الينبوع والقديس البار هيروذيون.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb